مجلد(05) عدد(02) فيفري2021 ISSN : 2437-0703 EISSN :2600-6448

أنثروبولوجيا المتخيل وذاكرة المستقبل في ديوان "الدائرة في المنتصف" للشاعرة ثريا وقاص

الاسم واللقب: بوشعيب العصبي
مختبر:...../.....
كلية: الآداب والعلوم الانسانية **جامعة**: الجديدة **البلد**: المغرب
البريد الالكتروني: elassibi.bouchaib@gmail.com

Name &Surname: Bouchaib Elasabi
Laboratory:...../.....
Faculty:.....**University :**.....**Countery:**.....
Email: elassibi.bouchaib@gmail.com .....

قُدم للنشر في: 13-07-2020 **قُبِل للنشر في**: 25-12-2020 **نشر في**: 2021/02/26

Received: 13-07-2020 **Accepted**:25-12-2020
Bubblier le: 26/02/2021

ملخص

نقارب في هذا المقال أنتربولوجيا المتخيل؛ انطلاقا من البحث في معنى صور الاستدارة، وصداقة الأشياء،وسيكولوجية التخفي، وذاكرة المستقبل..، في ديوان الشاعرة ثريا وقاص، إيمانا منا بدور هذه العناصر، و غيرها، في إعطاء دينامية للخيال، وتمتين جسور التواصل بين المتكلم والمخاطب.

الكلمات المفتاحية:

صور الاستدارة، سيكولوجية التخفي والسرية، ذاكرة المستقبل، صداقة الأشياء، المكان المحتمل.

Abstract

We approach in this article Anthropology imagined; from research into the meaning of images rotation, and friendship things, the psychology of stealth, and the memory of the future .., in the office of the poet Touraya Waqas, our belief in these elements of the role, and others, in giving a dynamic to the imagination, and strengthen bridges of communication between the speaker and the listener.

تمهيد

تَدينُ الحقائق الجمالية بوجودها إلى الخلْق الشّعري؛ فمثلا، لن نقْدِر على سماع صوت أبعدِ ذكرى، دون أن يعلّمنا الشاعر كيف نصغي، أو نبالغ في الإصغاء؛ فالشّاعر بما يملك من ضوء داخلي؛ يستطيع أن يوقظ كل الذكريات النائمة في دواخلنا، كما تنصّ على ذلك الذات الشاعرة؛

"قبل أن يصبح الشعر قصائد

كان نورا داخليا..1 "

الخيال والذاكرة شيء واحد، يختلفان في التسمية لاعتبارات متعددة، وعملية الخلق تنطوي على البحث عن الصور المخزونة في الذاكرة، مثلما يفتّش المرء غرفةً بحثا عن جوهرة ، أو كما يطوف كلب في حقل حتى يجد أثرا يقتفيه بعبارة **هوبز Hobbes** 2، والذاكرة في أصلها هي الحضْرة بالقرب من...هي أن نظل مشدودين إلى ..لا إلى الماضي وحده، وإنما إلى الحاضر وكل ما سيأتي[3]. ومشاركة القارئ في عملية الخلق هي خلق ثانٍ، إنها كبرياء القارئ، التي تمنحنا الوهم بمشاركة المؤلف في كتابة مؤلَّفه.فنحن نعيد قراءة النص للحصول...لا على على النص"الحقيقي"، وإنما لملاحقة النص المتعدد: الشبيه بنفسه والجديد في الآن ذاته[4]؛ لأننا- بكل صراحة- ضد القراءة بوصفها استهلاكا.

صُوَر الاستدارة

وسمَت الشاعرة "ثريا وقاص" عملها بعنوان" **الدائرة في المنتصف**" وامتد صدى الاستدارة، ليشمل حتى العناوين الداخلية التي يضمّها هذا العمل؛ بدءا ب "**دائرة القلب**"و" **دوائر..دوائر**"، ثم "**دائرة الحب**" و"**استدارات لطيفة**" و"**دوائر ناقصة**"، مرورا ب"**دوران حول الطفولة والذكريات**"، و"**حلقات الزمن**"، وصولا إلى " **تناقضات دائرية شبيهة بالحياة**" و"**الدائرة المفتوحة على الحلم**". هذه العناوين الداخلية لا تكلّف القارئ البحث عن الفكرة العامة المبثوثة في ثنايا النصوص[5]،واقتراب الشاعرة من الاستدارة بهذا الشكل، ليس بعزيز على الإبداع والفن،فقد كتب فان خوخ "الأغلب أن الحياة مدوّرة"، وقد قال جوبوسكوي دون أن يكون له معرفة بعبارة فان خوخ "قيل له إن الحياة جميلة، لا ! الحياة مدوّرة"6.

هذه الصور تلغي العالم، وليس لها ماض، وهي غير مستمدة من أي تجربة سابقة ، نستطيع التيقن من كونها ما وراء سيكولوجية metapsychological، وإذا أخذناها في فجائيتها، يتبين لنا أننا في داخل وجود هذا الخلْق كلّية.

بالرجوع إلى التفسيرات التي يقدّمها التحليل النفسي؛ فكلّ ما هو مدوّر يثير فينا رغبة في أن نربّت عليه و نلاطفه، ورغم صحة هذه التفسيرات إلى حدّ كبير، فإنها لا تقول كل شيء[7].

لم تنصرف صور الاستدارة في "الدائرة في المنتصف" إلى الوصف، بقدر ما دلّت على أن الذات الشاعرة وصلت إلى مستوى من التأمل، ذاتٌ انغرست جذورها في تراب الحياة اليومية، وهو ماجعلها تتعرف على "منابع الحياة"، من خلال صور شعرية طازجة، وهذا ما أشارت إليه بشكل صريح في عنوان نصّها " **تناقضات دائرية شبيهة بالحياة**"،

بالنسبة إلى الذات الشاعرة الحالمة بالكلمات، أيّ طمأنينة توجد في عبارات "**دائرة الحب**"، "**دائرة القلب**"، "**استدارات لطيفة**"، "**الدائرة المفتوحة على الحلم**"،"**دوران حول الطفولة والذكريات**"..، كمْ فيها منَ السلام الذي يلْمس الفم و الشفتين، فيصبح وجود التنفس مدوّرا؛ لأنها سوف تنطلق من فم فيلسوف يؤمن بالمادة الشعرية للكلام[8].

نجد أنفسنا - أحيانا- أمام شكل يوجّه ويحتوي أحلامنا القديمة جدا. إن صور الاستدارة الكاملة تساعدنا على التماسك، وتسمح لنا أن نضفي مزاجا مبدئيا على ذواتنا، وأن نؤكد وجودنا بحميمية؛ لأن الوجود حين تعاش تجربته من الداخل، ويصبح خاليا من كل الملامح الخارجية، يكون مدوّرا[9]؛فحين نعيش الأشعار التي نكتبها أو نقرؤها، نعيش تجربة الانبثاق المنعشة، فتتحول اللغة من أداة إلى واقع.. إلى حياة داخل الكلمات.

المكان المحتمل وصداقة الأشياء

نتوق دائما إلى العيش بعيدا عن البيوت المزدحمة، وعن هموم المدينة، فنهرب بالخيال لنعثر على مأوى حقيقي[10]، لاسيما الذات الشاعرة التي تستطيع - أكثر من غيرها - أن تبني بيتا من كلمات، وتقدر على ربط علاقات قرابة بالأشياء؛ تقول الذات الشاعرة:

"وقفت أتأمل الخشب الخشن العاري..

الصمت الطويل والصبر الخرافي..

ترى هل فكّرَ أحد يوما أن يضمّه بين ذراعيه؟

أنا فعلت."

وفي السياق نفسه، تقول في موضع آخر:

"أحيي آنية الورد الفارغة"

وغير بعيد عما سبق تقول مستجوبة ذاتها :

"علاقتي بالكتاب؟

بدأت ككل عشق عاصف.."

ليست الأشياء في الحقيقة حسب لوروا مورغان سوى مركبات ميول وشبكات أفعال؛ فالإناء ما هو إلا رغبة في احتواء السوائل، والطريق دعوة إلى السير...، وهذا ما تشير إلى الذات الشاعرة في قولها:

"الخبز الّذي نسيناه على المائدة..

فتحَ البيْتَ للطيور"

وتتحول الميولات العامة إلى حالات خاصة11، والأشياء التي تُعامل بهذا الحب تحقق درجة من الواقعية أعلى من تلك التي تحققها الأشياء المحايدة، وهي بذلك تخلق واقعا وجوديا جديدا[12]، يمكن للذات الشاعرة أن تسكنه، فالكلمات بيوت، وكل بيت له قبْو وعلية، والصعود والهبوط يكون في الكلمات ذاتها، تلك هي حياة المشاعر13 . إنه المكان المحتمل؛ حين تصير المرأة بيتا بغرف كثيرة؛ تقول الذات الشاعرة:

"المرأة بيت كبير..

بغرف كثيرة:

المطبخ ..

غرف الأولاد..

صالون الضيوف الفسيح..

بهو الاستقبال.."

تبني المرأة البيت من الداخل والرجل يبنيه من الخارج. ويتيح البيت للإنسان الحلم بهدوء، يدمج أفكاره وأحلامه وذكرياته، ويمنح الماضي والحاضر ديناميات مختلفة كثيرا ما تتداخل أو تتعارض، وفي بعض الأحيان تنشط بعضها بعضا؛ فالبيت يخلق استمرارية، ولولاه لأصبح الإنسان كائنا مفتّتا، وحين نحلم بالبيت الذي ولدنا فيه ننخرط في ذلك الدفء الأصلي، في تلك المادة لفردوسنا المادي، نعود إلى الملامح الأمومية للبيت[14]؛ تقول الذات الشاعرة:

في صغري

على مائدة الطعام

كان مكان أبي محفوظا

ولا يجرؤ أن يجلس فيه أحد..

أما أمي فلم يكن لها كرسي معين..

وكانت في كل الأمكنة.

نعتقد في بعض الأحيان أننا نعرف أنفسنا من خلال الزمن؛ تقول الذات الشاعرة:

لا تبحث عن حبيبتك في مكان ما ..

ابحث عنها في الوقت الذي

عبرتْه و إياك.

في حين أن كل ما نعرف هو متابعة أماكنِ استقرار الكائن الإنساني، الذي يرفض الذوبان. يحتوي المكان في مقصوراته المغلقة التي لا حصر لها على الزمن مكثفا[15]؛ وهذا ما أشار إليه ابن عربي في قولته الشهيرة "الزمان مكان سائل والمكان زمان متجمد"؛ فالبحث عن الحبيبة- حسب

مجلد(05) عدد(02) فيفري2021 ISSN : 2437-0703 EISSN :2600-6448

المقطع الشعري السابق- وبمنظور ابن عربي يجب أن يكون في ذلك المكان السائل في ذلك" الوقت الذي عبرّته وإياك"؛ أي تلك الصور المتحركة التي ترسّبت في الذاكرة، وكلما احتجنا إليها نقوم باسترجاعها.

سيكولوجية التخفي والسرية

إن الخزائن برفوفها، والمكاتب بأدراجها، والصناديق بقواعدها المزيفة هي أدوات حقيقية لحياتنا النفسية الخفية، دون هذه الأشياء ومثيلاتها تفقد الحياة نماذج الألفة، وهذه الأشياء تملك صفة الألفة مثلنا، وعبرنا، ولأجلنا[16]؛ تقول الذات الشاعرة:

لم نعد نكتب على دفاترنا

أسرارنا

وأدراج مكاتبنا

صارت كبيرة علينا منذ أن ضيعنا المفاتيح

وجيوبنا

لم يعد لنا ما نخبئه فيها

بعد أن اكتشفنا المخبأ الأكبر

الفيسبوك.

كل الأقفال تحمل دعوة إغراء لفتحها، والإغلاق المتأني يطالب بفتح متأن، ومخبأ الذات الشاعرة مشحون بعناصر غير معروفة ومتعددة الإمكانات، أشياء خيالية تتولد عنها فرضيات وأحلام، هاربة من ذاتها إلى عدد غير متناه من الكنوز الأخرى، الخيال لايقول أبدا: هذا يكفي؛ لأن هنالك دائما وجودا لأكثر مما تراه العين، إن الصور التي يبديها الخيال لا تخضع لمحكّ الواقع[17]؛ لأنه أكثر خصوبة من التجربة.

فالذات الشاعرة لم تعد تدفن أسرارها بين أسطر الدفاتر ولا في أدراج المكاتب والجيوب، بعدما اكتشفت الفيسبوك/ المخبأ الأكبر، وهو تحريض ضمني منها للقارئ على اكتشاف أزهارها الشعرية المخبوءة.

ذاكرة المستقبل

لا تعني الذاكرة بالضرورة الامتلاء، مثلما أن النسيان لا يعني الفراغ؛ فالتذكر لايعني تسجيل أحداث الماضي وترسيخها في النفس بغية إحيائها وبعثها كلما اقتضت الضرورة. الذاكرة عيش لحاضر كثيف.. حاضر لا يكون تذكرا للماضي فحسب، وإنما تنبؤا واستقبالا[18]؛ تقول الذات الشاعرة:

مستقبلنا

سلة مهملات كبيرة..

نرمي فيها أحلامنا المثقوبة..

لكي نجعل من الحاضر يمتد بعيدا حتى يبلغ المستقبل الذي يستجيب للماضي يجب علينا أن نعيش اللحظي لا الآني. اللحظي هو" قرار التاريخ النقدي الذي ينزل مثل الساطور على ثقل الماضي وثقل الحاضر" كما يقول نيتشه. لا يعني ذلك أن علينا أن نعيش اللازمان، بل العيش ضد الراهن؛ أي أن نرتمي في المستقبل ونبحث عن النماذج القديمة، لكن ليس في الماضي البعيد أو القريب، وإنما في المستقبل الآتي[19]؛ تقول الذات الشاعرة:

ونفني حياتنا لاهثين خلف ما لن نستمتع به

أصلا:

نجمع مالا..

فنهدر صحة..

نشيد بيتا

مجلد(05) عدد(02) فيفري2021 ISSN : 2437-0703 EISSN :2600-6448

فنسكن مشفى..

نبني أسرة فنشيخ في الوحدة..

نلهث وكثيرا

لكي نصير مجرد ذكرى.

لا يجب علينا أن نعيش دون ذاكرة، وإنما علينا أن نسهم في كتابة "ذاكرة المستقبل"؛ فالشعر يمتلك هناءته مهما كان حجم المأساة التي يصوّرها.

خاتمة:

استطاعت الشاعرة ثريا وقاص في ديوانها" الدائرة في المنتصف" أن ترفد خيالها بمجموعة من الأطر، التي يحتفظ بها المتخيل الجمعي والنفسي الفردي؛ وذلك باسترجاع الماضي، واستنطاق الحاضر، واستشراف المستقبل، بشاعرية تنأى عن المكرور، وتنحت من اليومي الدّال جمالها المختلف.

الهوامش:

[1] - ثريا وقاص(الدائرة في المنتصف، شذرات) جذور للنشر 2018، ص 97.

[2]- ر.ل. بريت(موسوعة المصطلح النقدي، التصور والخيال) تر.عبد الواحد لؤلؤة، ، الجمهورية العراقية، دار الرشيد للنشر) ص18.

[3]- عبد السلام بن عبد العالي(النص المتعدد) دار توبقال للنشر، الطبعة الأولى 2020، ص25

[4]- عبد السلام بن عبد العالي(المرجع نفسه) ، ص 11.

[5]- وحيد بن بوعزيز(حدود التأويل، قراءة في مشروع أمبيرتو إيكو النقدي)رؤيا للنشر والتوزيع 2017، ص 225.

[6]- غاستون باشلار(جماليات المكان) ترجمة غالب هلسا الطبعة الثانية 1984،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ص 207.

[7]- غاستون باشلار(المرجع نفسه) ص 211

[8]- غاستون باشلار(المرجع نفسه) ص 212

[9]- غاستون باشلار(المرجع نفسه) ص 209.

[10]- غاستون باشلار(المرجع نفسه) ص 56.

[11] جيلبير دوران(الأنتربولوجيا رموزها أساطيرها أنساقها)تر. محمد مصباح، ط3 ،مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،ص31 .

[12]- غاستون باشلار(المرجع نفسه) ص 83.

[13]- غاستون باشلار(المرجع نفسه) ص142.

[14]- غاستون باشلار(المرجع نفسه) ص38

[15]- غاستون باشلار(المرجع نفسه) ص39

[16]- غاستون باشلار(المرجع نفسه) ص 91

[17]- غاستون باشلار(المرجع نفسه) ص 97.

[18]- عبد السلام بن عبد العالي(المرجع نفسه)ص25

[19]- عبد السلام بن عبد العالي(المرجع نفسه)ص29

قائمة المصادروالمراجع:

ثريا وقاص(الدائرة في المنتصف، شذرات) جذور للنشر 2018.

دوران(الأنتربولوجيا رموزها أساطيرها أنساقها)تر. محمد مصباح، ط3 ،مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

ر.ل. بريت(موسوعة المصطلح النقدي، التصور والخيال) تر.عبد الواحد لؤلؤة، ، الجمهورية العراقية، دار الرشيد للنشر).

عبد السلام بن عبد العالي(النص المتعدد) دار توبقال للنشر، الطبعة الأولى 2020.

غاستون باشلار(جماليات المكان) ترجمة غالب هلسا الطبعة الثانية 1984،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

وحيد بن بوعزيز(حدود التأويل، قراءة في مشروع أمبيرتو إيكو النقدي)رؤيا للنشر والتوزيع 2017.